قراءة في فلسفة الثورة الجزائرية عند عبدالله شريط

Reading in the philosophy of the Algerian Revolution by Cheriet

مرقب فركوس *

جامعة حسيبة بن بوعلي (الشلف (الجزائر)، ferkousmregueb@hotmail.fr

تاريخ الارسال 2022/12/13 تاريخ القبول 2023/03/03 تاريخ النشر 2023/03/20

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الى معرفة الأسس الفلسفية في قراءة شريط للثورة الجزائرية، والتي نقف عليها من خلال بعديها الاقتصادي والثقافي كهدف للثورة وشرط لاسترجاع حرية وكرامة وهوية الشعب الجزائري، وهي قيم ظلت مطلبا لكل ثورات العالم وتشريعات حقوق الإنسان، مما يضفي عليها بالتالي طابع الكونية.و لأجل تحقيق هذه الغايات استندت الثورة الجزائرية كذلك الى تجربتها الأصيلة المستوحاة من تاريخ الحركة الوطنية عبر تطورها في نضالها، الذي تبلور الى ثورة تحرير مسلحة. كما استفادت كذلك من قراءتها لتراثها، مما صيرها ثورة متميزة لها فرادتها في كل أبعادها الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية، التي تجعل منها بحق ثورة جزائرية، نقرأها مع شريط بالمعنيين الفلسفيين الكوني والمحلي.

الكلمات المفتاحية: ثورة؛ اقتصاد ؛ ثقافي؛ كوني؛ محلي

Abstract:

This study aims to know the foundations of philosophy in Cheriet's reading of the Algerian revolution, and shed light on its economic and cultural dimensions which made it a purpose for the revolution and a condition for restoring the freedom, dignity, and identity for the Algerian people. These values have been for all world revolutions and human rights legislations demands, giving it a universal character. In order to achieve these objectives, the Algerian revolution was based on its original experience, which was inspired from the history of the national movement through its development in its struggle into an armed liberation revolution. It also benefited from its reading of its heritage which making it a distinct revolution that has its singularity in its social political, economic and cultural dimensions. It was truly an Algerian revolution that we read it philosophically with Cheriet in the universal and local senses.

Keywords: Revolution; Economic; Cultural; Universal; Local.

1. مقدمة :

الفلسفة فكر نقدي للأشياء من حيث أسباب حدوثها، وغايات وجودها في فكر شريط، الذي هو قراءة لواقع الثورة الجزائرية يبحث بعديها الاقتصادي والثقافي كغايات لفلسفة ثورية والتي تتمثل في تحرير الإنسان الجزائري ماديا ومعنويا، والذي لا يتأتى له إلا بالاستقلال اقتصاديا وثقافيا لأنه أدرك من أنهما كانا في فلسفة الاستعمار غاية احتلاله الجزائر بناء على اسس إيديولوجية وبالتالي فهما كذلك غاية الاستقلال في فلسفة الثورة الجزائرية . ومن هنا نتساءل مع شريط الى أي حد يكون الاقتصاد والثقافة بعدين لفلسفة الثورة الجزائرية؟ .

* المؤلف المرسل:

2. ملامح الدولة الجزائرية قبل الاستعمار:

عندما احتل الاستعمار الفرنسي الجزائر لم يجدها أرضا قاحلة، أو غير آهلة بسكانها وإنما: "وجد الأمة الجزائرية موجودة قائمة على رجليها، أمة لها تاريخها، ووجد دولة ذات سيادة لها تقاليدها الدبلوماسية وأجهزتها الإدارية القائمة."[1] وهذه كلها مقومات مجتمع له تراث ثقافي ينتمي إلى قيم انسانية متحضرة، ويمتلك كذلك اقتصادا مزدهرا بحيث :"كانت منتوجات الجزائر في الميدان الفلاحي متنوعة جدا كما يعترف بذلك الغزاة الفرنسيون عندما دخلوا البلاد"[2]. لذلك عمد الاستعمار إلى تدمير كل مقومات الدولة الجزائرية، ولم يكتف بذلك، بل لجأ إلى حرب أخرى إيديولوجية على أسس مدروسة ومخططة، استهدف منها القضاء على الإنسان الجزائري في أرضه أو تهجيره منها، واحلال مكانه الإنسان الأوروبي .ولم يبق فيه من الإنسانية إلا ما يجعله صالحا لشيء واحد وهو العبودية. وحتى يتسنى للمحتل ذلك، وجب: "أن يتدعم بالقضاء على هياكله الاقتصادية الوطنية المستقلة لتقوم مقامها هياكل تابعة للدولة المحتلة".[3] وقد أدرك الشعب الجزائري بأن :"فرنسا الاستعمارية لا ترى خيرا للجزائر، بل دخلتها لتقيم سوقا لها وأرضا خصبة لا تريدها لأصحابها بل لها"4، تلك التي استعملت المواد الاولية للصناعة الفرنسية، وحولت الجزائر سوقا للمواد المصنوعة الفرنسية. وفي تصور عبد الله شريط أن المستعمر وضع برنامجا اقتصاديا، وعززه ببرنامج تخريب اجتماعي وهو الهبوط بمستوى حياة الشعب إلى درجة المجاعة المستمرة والفقر وتدهور الصحة. فبهذه الوسيلة التخريبية للاقتصاد يصل الى غاية أعمق، وهي الإذلال عن طريق التجويع أو التجهيل، وغرس المركبات الانهزامية الساحقة في عقول الشعب حتى يظل ضعيفا أمام سيده المحتل ولا يفكر في رفع صوته أمامه. فبحسب شريط فإن المستعمر كان يدرك بأن هذا لا يتم بسهولة في شعب متعلم، ويعززه التماسك الاجتماعي، بحيث: "كان اغلب الرجال يقرأون ويكتبون . ومما يؤكد ذلك التوقيعات في المستويات الأولى من الاحتلال الفرنسي كان أغلبها تقع بالكتابة لا بالأصبع كما صار الأمر عندما تركز نظام الاستعمار الفرنسي"[5]، ولهذا وجب القضاء على القلعة الأخيرة التي يتحصن بها وهي القلعة الثقافية، فشن الاستعمار حربا ثقافية جند لها المعلم الفرنسي والكاتب والسياسي والإداري والضابط والمستوطن ورجل الدين والكنيسة والمدرسة والإدارة، فكان كل هدفه طمس كل ملامح الدولة وشخصيتها، وذلك بالقضاء على اللغة الوطنية والتراث الشعبي والديني والقضائي، بل وتزييف التاريخ نفسه واستبداله بتاريخ مصنوع وجاهز. وقد استعان المحتل في مشروعه هذا، ليس بالآلة والسلاح، وإنما كذلك بتوظيف معطيات العلوم المختلفة بما فيها علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وكل ما من شأنه أن يزرع في نفسية الجزائري روح الانهزام ومركب النقص والشعور بالدونية أمام الفرنسي، وكأن الجزائر أصبحت حقل تجارب والجزائريين فئران مخبر تكرس فيه التجارب العلمية لأغراض استعمارية وإيديولوجية، ليس من طرف العسكريين، بل وحتى علماؤهم لم يتورعوا عن المشاركة في هذه الحملة الصليبية فأعلنوا لنا أن "الأهلي" بحكم تكوينه الجسمي هو انسان غير قابل للحضارة لأنه إنسان عنيف ومتعصب، ولا يعرف الخضوع للقانون، بل للقوة فقط. ثم يضيف شريط بأن علماءهم قد قالوا أيضا: "ان

اختلاف المناخات في الأرض الجزائرية الواسعة تجعل الوحدة الوطنية بينهم متعذرة سواء كانت وحدة سياسية او اجتماعية او ثقافية[6]، ومن هنا فهم يصورون للجزائريين بأن أفق المستقبل مسدود أمامهم، وأن قدرهم هو الاستعمار وخدمته، وبحسب علومهم غير قابلين-علميا-لأن نكون أمة مستقلة. وليتهم توقفوا عند هذا الحد من الحط من إنسانية الجزائري، ولكن تعدوه إلى القول بأننا لسنا قابلين لأن يدمجونا في الأمة الفرنسية. أو بقليل من المبالغة في هذا الزعم، رأت بعض الأحزاب التقدمية في فرنسا: "اننا بالفعل لم نكن أمة قبل1830. ولكن شريط يخلص الى :"ان هذه الجزائر التي دخلها الفرنسيون سنة 1830، لم تكن تعيش بدون قانون، وبدون ثقافة، وبدون حضارة ومدن، وبدون مساكن وفلاحة منظمة، وتجارة نامية واسواق قائمة، وطرق وجسور وصناعة واسطول الخ"[7].

وأما مقاومة الأمير عبد القادر والتفاف الشعب الجزائري من حوله في أغلب أنحاء الوطن وتعاطفهم معه في مناطقه القريبة منه، أو البعيدة عنه مدة طويلة، لم تقنع الفرنسيين: "بأننا أمة لا تقل عن الأمة الفرنسية في كل مقومات الأمم"[8]، تلك تشبع بها الشعب الجزائري في مقاومته، التي لا تعبر عن لحظة انفعالية آنية، بل وجودية، استمرت طيلة سبعة عشر عاما، وتبعتها ثورات متقطعة طيلة نصف قرن أو تزيد، فصيرت وحدته الوطنية وحدة فعلية ظل يعيها بوضوح من حيث هي واجبات وحقوق، تثبت كينونته، وكأنه شخص واحد، ذلك الشخص الذي يعرفه كانط :"بأنه الكائن الذي له حقوق والتي يمكن له أن يعيها"[9]، لقد كان الجزائريون شعبا واحدا، وكاملا بعدما تصادم لأول مرة في تاريخه مع دولة أجنبية عبر كامل حدوده الترابية، وظل يعيش هذه الوحدة بكل خصالها وصفاتها وميزاتها. فدفعه ذلك التميز للنضال من أجل أن ينفصل عن فرنسا، ويفتك منها استغلاله السياسي والاقتصادي والثقافي، وكل ما تتجلى فيه حقيقة وجوده الإنساني، التي عند سارتر ليست شيئا آخر غير: "خلق للذاتية التي لا ترجع إلا لحرية كل واحد، وتتحول إلى عمل جماعي سياسي واجتماعي"[10].

ولكن ما ينتبه له شريط كفيلسوف من خلال المقاومة، ويعتبره أهم ميزة: "هي الصفة الجماهرية من القاعدة، التي شملت كل الفئات الوطنية من ناحية، ومن ناحية أخرى الصفة الشعبية التي تحلى بها قادة هذا الكفاح المرير"[11]، وذلك بداية من الأمير عبد القادر الذيل أول مرة منذ عهد الصحابة يبايعه المسلمون مبايعة حرة، لأن الاصطدام مع العدو آثر في نفسية الجزائريين استحضار كل مقوماتهم كشعب متميز سياسيا في اختياره لحاكمه عن طريق المبايعة التي جمع فيها الأمير بين القائد السياسي والعسكري، فوضعت الفرنسيين أمام دولة ذات نظام سياسي دستوري ومؤسسات، على رأسها، ولأول مرة منذ قرون قائد يطبق دستور الإسلام على أفراد الشعب وعلى نفسه، و: "يكون مجلسا من رجالهم الواعيين والمثقفين. ويبقى على صفته الشعبية البسيطة"[12]، التي عاش بها منذ أول حياته كمجاهد وفي آخرها كعابد متصوف. وليست المقاومة بصورة أخرى إلا ثورة، التي بتعبير باديو: "نتحدد من خلالها، وحتى لو ألغيناها فهو اعتراف بها"[13].

إذا كانت القراءة الفلسفية للتاريخ توقفنا على اسباب الحوادث، فهي عند شريط توقفنا على حقيقة وهي أن : "القوة المحركة للصفة الجماهرية والشعبية في آن واحد هم الفلاحون الذين بقوا أوفياء لوطنيتهم"[14]، وقد تبين ذلك من عهد الأمير عبد القادر إلى المقراني وأولاد سيدي الشيخ، ولالا فاطمة. واستمرت هذه الصفة الجماهرية (الفلاحية) الشعبية الى ما بعد الثورات الوطنية ضد الاحتلال، وكانت ميزة الحركات السياسية الحديثة فيما بين الحرب العالميتين، وبالتالي فإنها واحدة من تقاليدنا الوطنية ومن تراثنا الذي يجب المحافظة عليه: "لأنه هو الإسمنت المسلح الذي ميز حركتنا الوطنية سواء في عهد الاحتلال أو في حرب التحرير"[15]، فهو من اعطاها طابع الصلابة، والجد، منذ الأمير عبد القادر إلى الشيخ ابن باديس إلى قادة ثورة نوفمبر، ومن هنا نخلص مع شريط إلى ميزة أخرى للجزائريين عبرت اريخهم وهي أنهم لم يتعاملوا مع المستعمر بصفتهم '' كأهالي'' كما وصفهم المستعمر، وإنما كشعب يمتلك حسا قويا بخطورة موقفه في معركة مصيره، لم يبخل بتضحياته فيها دفاعا عن بلاده، ذلك: "الذي قل أن ماثله دفاع أي شعب في القرن التاسع عشر، وكانت حرب تحريره مما قل شبيهه في القرن العشرين"[16]، وهذا التميز الذي يجعل منها ليس حربا ماضية، وإنما حدثا وجوديا يضفي عليها صفة الحدثية (*l'événementialité*) نسبة للحدث الذي يتميز بالفرادة (*Singularité*)، ويأتي الى الوجود أو الواقع، فيقطعه إلى اثنين: قبله، وبعده. [17] والثورة الجزائرية كحدث قطعت التاريخ إلى ما قبلها وهو الاستعمار وما بعدها وهو الاستقلال.

ولما كانت الفلسفة بحثا عن اصل الأشياء فإن أصل الحركة الوطنية الحديثة ومنبتها عند شريط، كان في صفوف العمال الفقراء الذين سلبت منهم أرضهم، فنزحوا الى المدن طلبا للرزق، وهناك استطاعوا أن يتجاوزوا جدران سجنهم ، ويطلعوا على ما يزخر به العالم من أفكار ونظم وحركات: "فكانوا أول عمال عرب تتفتح أعينهم على هذا العالم الزاخر بالحرية والثورة الاشتراكية"[18] بحيث تعرفوا على تيارات من أنحاء مختلفة من العالم، كانت تعمل كلها من أجل قضية تحرير الشعوب، وحقوق الجماهير المعذبة في كل مكان، ومنها أفكار الاشتراكية من الثورة الروسية، كما تأثروا بريح الإصلاح لجمال الدين الأفغاني، التي تهب من الشرق وأطلعوا على (العروة الوثقى) التي تصدر في باريس، وعلى أفكار مصطفى كامل، الذي ناهض الاحتلال البريطاني لبلاده، كما كانوا على صلة مع الجماعات السياسية العربية التي فرت من الاضطهاد العثماني، وتطلعوا على انتصارات اتاتورك العظيمة وحرب الأمير عبد الكريم الخطابي من الريف، وتجربة الأمير خالد في الجزائر.فكل هذا الرصيد الفكري والنضالي سيجعل من الحركة الوطنية حركة متميزة.

3. خصوصية الحركة الوطنية الجزائرية

عندما يقارن عبد الله شريط بين الحركة الوطنية وبين حركة الشعوب يخلص إلى أن الحركة الوطنية الجزائرية كانت هي المستفيدة أكثر من غيرها من الجو الذي أحاط بها، لأن بنيتها الاجتماعية كانت تختلف اختلافا كبيرا عن كثير من الحركات السياسية الأخرى المهاجرة في أوروبا، وتميزها الأساسي عنها: "هو تكونها من العمال في

الدرجة الأولى"[19]، بخلاف كانت جل الحركات الأخرى تتكون أساسا من اللاجئين السياسيين وقليل من الطلاب والمثقفين والتجار. وبحكم بنيتها الاجتماعية، انصرفت الحركة الوطنية مباشرة الى التكوين الثوري والتربية النضالية وطرح المشكل السياسي بجملته، والمتمثل في: "التحرير الكامل من السيطرة الأجنبية في كل مظاهرها السياسية والثقافية والاقتصادية "وقد بذل المناضلون من أجله كل ما أوتوا من قوة، ما دام التاريخ كما يقول نتشه: "لا يتسامح إلا مع الشخصيات القوية، ويطفئ الشخصيات الضعيفة"[20].

وبالرغم من استفادة الحركة الوطنية من احتكاكها بالحركات السياسية والنقابية الثورية في أوروبا، من حيث التنظيم والتكوين النضالي، ومن الحركات القومية العربية والإصلاحية من حيث المحتوى العقائدي، إلا أن شريط ومن خلال فكره المطلع على مختلف الحركات وتاريخها، يبين بأن الحركة الوطنية: "برزت منذ نشأتها الأولى متميزة بكل خصائص الحركة الثورية الأصيلة:" [21] والتي منها:

-الإعتماد على المشاركة الديمقراطية التي تتيح لمناضليها المناقشة بحرية، وتقبل الاقتراحات البناءة، ومحاسبة المسؤولين وانتقاد أخطائهم أو تأييد مواقفهم وسلوكهم .

- **الوضوح**: الذي يتمثل في تحديد الأهداف وتحقيقها بوسائل بسيطة، عن طريق النضال الذي مزج الأفكار بالعمل، فأحكمت فيه الجدلية بين الواقع السياسي والدولة الاستعمارية، وبين التراث الثوري والتقاليد النضالية التي يتصف بها الشعب الجزائري .

-**التنظيم**: الذي تجسد في تأطير الحركة الوطنية من سنة 1925الى1926، بمؤسسات الحزب الثوري، ولجنته المركزية المكونة من ثلاثين شخصا، والتي شاركت في مؤتمر بروكسل سنة 1927 الى جانب كل الحركات المضادة للاستعمار، وهناك طرحت مطالبها لأول مرة باستقلال الجزائر، وجلاء القوات الفرنسية المحتلة، أو للمستعمرين، وتأسيس جيش وطني شعبي، وتأميم الأملاك الفلاحية الكبيرة، وارجاع كل ما استولت عليه الحكومة الفرنسية الى الحكومة الجزائرية، واعانة صغار الفلاحين بقروض واسعة والتمتع بالحقوق النقابية والسياسية، وتكوين برلمان جزائري منتخب بالاقتراع العام وكذلك المجلس البلدي، وحق التعليم في جميع المراحل. هذه هي المطالب التي ظلت كل أجيال الحركة الوطنية محافظة عليها إلى اليوم، ويساهم كل جيل في تهيئة الشعب لتحقيقها الى أن تم له ذلك في انتصار ثورة 1954. واعلنت الحركة في النهاية أنها ستستعمل جميع الوسائل لتحقيق غاياتها، وأثبتت للمشككين بأنهم سيعرفون يوما بأن: "أعمال الحركة ليست عفوية، بل اعمال عميقة ترتكز على الجماهير الشعبية المؤمنة بإرادتها في الإستقلال"[22].

- الإرث السياسي: الذي هو ارث عظيم بإيجابياته ومفيد بسلبياته. وأول إيجابيات عند شريط هو: "الطابع الشعبي الذي ظل يطبع أغلب حركاتنا السياسية والثقافية طيلة فترة ربع قرن من النضال"[23]، الذي خاضه بكل مرارة ضد العدو المستعمر،

الإستمرارية : التي يمثلها الكفاح المستمر، الذي لم يرجع الى الوراء اطلاقا، بحيث كلما أحس جيل بالعياء إلا ويتسلم جيل آخر العبء ويستأنف السير به.

ولكن شريط بعيدا عن كل نظرة طوباوية، وتحليا بالروح النقدي، فهو ينظر للحركة كفعل وعمل لا يخلوان اطلاقا من سلبيات، ولعل الحقيقة التي لاحقت كل حركتنا الى ما بعد الاستقلال: "هي الضعف الإيديولوجي"[24]، الذي نتج عنه ضعف القواعد التنظيمية العليا في حسم الصراعات الداخلية، والخلافات بين القيادات على أسس واضحة، تسمح بتجددها دون التضحية بأي فرد منها سواء في المعركة التحريرية، او المعركة الإنشائية. وقد حاولت كل مؤتمرات جبهة التحرير معالجة هذا الضعف من مؤتمر الصومام إلى مؤتمر الجزائر، وما أخرجته من مواثيق، التي كان آخرها وأكملها في نظر شريط هو :"الميثاق الوطني لوجود الأسس الإيديولوجية لهذه القواعد في الميثاق الوطني وفي الدستور"[25]، والتي قد تعوض النقص الإيديولوجي الذي انتهت اليه جبهة التحرير الوطني قبل سنة 1954.ذلك الذي استمر معها طيلة سنوات الثورة وبعدها لأنها كانت تضم تيارات واضحة مختلفة، من حيث هي الحزب الأمة، وبالرغم من أنه يعكس كل ما في الأمة من تناقضات اجتماعية واقتصادية وسياسية، إلا أننا نسميه حزبا طلائعيا لمختلف شرائح المجتمع من الفلاحين والعمال والتجار والأغنياء، والعاطلين والطلبة، والإقطاعيين والمحافظين وغيرهم، وقد يكون في التنوع والاختلاف بزوغ الأفكار السياسية النيرة، التي تختفي في السياسة الأحادية، لأنه: "عندما توجد سياسة واحدة فذلك يعني عدم وجود أي سياسة لأن السياسية دوما صراع عدة سياسات." [26] غير أن ظروف الحرب فرضت السير في طريق واحد دون إثارة للمشكل الإيديولوجي والإكتفاء بشعارات التحرر، والتعبئة حول مبدإ الإستقلال، ومبدإ الوحدة الوطنية، وذلك بالإلتفاف حول جبهة واحدة، تلك التي لم تكن تمثل طبقة معينة من طبقات الإختيار الإشتراكي، أو طبقة معينة من المجتمع .ولم يكن في قيادتها العليا الا عدد متواضع لعناصر من أصل التوجه الإشتراكي :"تؤمن بالإختيار الإشتراكي بعد الإستقلال وخاصة في مرحلتها الإنشائية الأولى"[27]. لقد مثلت الجبهة بكل أمانة على مستوى القيادة كل التناقضات والإختلافات السابقة لنوفمبر1954. ولكنها عند كبرها عادت الى ما ثارت عليه عند نشوئها وتمثلفي: "السباق من أجل الحكم فقط، بدون الإهتمام بمضمونه الإيديولوجي وعمله الثوري الحقيقي"[28].

التسيير الجماعي: كانت الحركة الوطنية ثورية، وسرية ولا تسمح لنفسها بعقد المؤتمرات العلنية، التي يناقش فيها المناضلون سياسة المسؤولين، فكانت تقرر في المستويات العليا، ولما كانت الخلافات تصفى على حساب اشخاص، فقد استدعى هذا الوضع عقد مؤتمر الصومام بين القادة في الداخل فتكون مجلس وطني ولجنة للتنفيذ والتنسيق، لكنه أدى الى أزمة جديدة بين قادة الداخل وقادة الخارج، ووقع التغلب عليها بالمحافظة على المؤسسات والتضحية بالأشخاص، وجاءت مرحلة القيادة الجماعية لمعالجة أزمات القيادة[29]، وبما ان تاريخ القيادات كان كله أزمات، بما فيها انقلاب الحكومة المؤقتة على القيادة، ثم زاد الخلاف كذلك مع الحكومة الجديدة، الى أن دعيت لجنة من قادة الولايات لفض خلافات القيادة تحت رئاسة الرئيس الراحل هواري بومدين لإجماع كل القادة في

الداخل والخارج على احترامه ونزاهته. وأخيرا دعي المجلس الوطني للثورة للاجتماع الثاني في مدينة طرابلس ومرة أخرى خرج من هذا الاجتماع علاج للأزمة القائمة دون أن يكون علاجا للأزمة المقبلة.حيث عادت في مرحلة المفاوضات بين جماعة السجن ومؤسسات الثورة كلها لأنهم لم يساهموا في تشريعها الى أن جاء الاستقلال وتكون الحزب تكوينا جديدا في وسط الخلافات وانتهى كقوة سياسية لتقوم مقامه الدولة، ثم تنعكس الفوضى على الدولة نفسها، ويعود الحكم في الحزب والدولة إلى شخص واحد يحكم بالارتجال وبدون قواعد.

لا نجد في قراءة شريط لتاريخ الحركة الوطنية وازمات قيادتها تقديحا او تمجيدا للأفراد، وانما محاولة لتحليل الأوضاع التي عرفتها التجربة الحزبية، التي كانت تتبلور في تسييرها الى نظام جماعي، لكن كان يفتقر إلى إيديولوجيا، وبالتالي يمكن أن نستنتج منه: "ما يصلح أن يكون في المستقبل درسا" المصدر نفسه، [30] لأنه تجربة مفيدة للجيل المقبل، الذي عليه أن يدرك بأن الحركة قد عرفت سلاسل متلاحقة من الأزمات كانت تجري في القيادات لكنها قلما تصيب القاعدة بشظاياها، بل: "إن القاعدة كانت هي التي تصلح ما استطاعت ما تفسده القمة، أو تحد على الأقل من شروره"[31]، وكل ذلك نجم بسبب أن : "القيادة كانت في الغالب أيضا تعمل بدون قواعد في العمل"[32]، والذي جعلها صالحة للتأويل، وبالتالي لم تحترم باستمرار، فكان الطبيعي أن يكون خلاف، ما دام لم تكن هناك قواعد مستمرة ومؤسسات دائمة بموجبها تكون الترقية أو التداول على القيادة دون التضحية بأحد أفرادها. ومن هنا نجد بأن شريط يشدد على القانون والقواعد الانضباطية للقادة كما للمناضلين في القاعدة، لأنها بذلك: "تضمن الاستمرارية والتواصل وتلافى القطيعة والبتر، وتكوين دولة وحزب ومؤسسات لا تفنى بفناء الرجال، ولا تزول بزوال الأشخاص"[33].

– **الديموقراطية**: كانت هي المبدأ للمؤسسات في الحزب والقواعد التي يرجع اليها في فض الخلافات .ومعناها الجماعية في الرأي والأغلبية في القرار، والفردية في التنفيذ والمبدأ الثاني للديموقراطية هو مبدأ الرقابة والمحاسبة داخل الحزب والمبدأ الثالث رقابة الحزب على الدولة، لأن الدولة في نظام الحزب الواحد اذا لم تكن مراقبة من الحزب باعتباره هو سلطة الشعب ممثلة في تشكيلاته المنتخبة، فإن مصيرها هو أن تؤول الى دكتاتورية بيروقراطية"[34]، ومن هنا كانت مسؤولية المؤتمرات الحزبية معالجة هذه القواعد والمؤسسات وتضبط اصولها النظرية والتطبيقية بدقة، فليس من السهل الانتقال من سلطة الدولة على الحزب الى سلطة الحزب على الدولة، أو بناء جهاز من الديموقراطية كاملا للعمل بين يوم وليلة، أو إيجاد حل سحري لمشكلة للقيادة الجماعية أو الفردية: "فالديموقراطية سواء كانت ليبرالية او اشتراكية لابد من أن نتعلمها في التطبيق"[35]، فهي ممارسة، وحملها كشعار مجرد لا يجعلها تعيش فينا من تلقاء نفسها. كما ان كمال مؤسساتنا لا يكون على الورق، أو نظريا، وانما تجد قيمته الحقيقية في التطبيق، الذي يرشدنا الى ما في النظرية من نقص يجب استكماله باستمرار. ولا ينكر شريط النقص في النصوص الإيديولوجية، وبالتالي فهي تحتاج مع ذلك تراث وثروة[36]، لكي نحميها من خطر الانحراف أو خطر التجمد على ذلك النقص.

كذلك المؤسسات الموجودة ثروة، و: "لكن الخطر أن لا تلعب دورها في دائرة صلاحيتها، ولا تشعر الأمة بوجودها ولا بالدور الذي تلعبه في حياتها"[37].

بالتالي كانت الحركة الوطنية مشبعة في خصوصيتها بفلسفة تأسيساوية، واستشرافية لمشروع دولة بكل أبعادها الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية.

.4البعد الاقتصادي في فلسفة الثورة الجزائرية.

اذا كان مفهوم ثورة يدل على :"حركة حول تغيير مفاجئ عنيف في البنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة"[38]. فإن له في فلسفة الثورة الجزائرية بعدا اقتصاديا اشتراكيا، ولتحقيق هذا الهدف، يرى شريط بأن الوسيلة هي:، "بناء الإنسان الجزائري الجديد الذي سيبني الاشتراكية"[39]، التي كاقتصاد ستحقق بدورها الأهداف الحقيقية الاجتماعية والسياسية والثقافية للثورة الجزائرية، لأنه بات من الظاهر بأن : "الخطاب الاقتصادي يقدم نفسه كحارس وضامن للحقيقة في العالم كله"[40]، ولذا فليس من الغريب أن يجعل شريط هذا الإنسان أول هدف للثورة، والذي يقوم على التعليم لأن شعوبا كانت أكثر منا عددا وبأقل وسائل قضت على الأمية في ظرف عشر سنوات، وحققت هذه المعجزة لأنها فهمت الفلسفة الحقيقية للاشتراكية وهي بناء الإنسان"[41]، وإن كانت هذه العملية تكلف جهدا بشريا فوق الطاقة وتضحيات مالية كبيرة، ولكنها أكثر مردودية للاشتراكية، التي ليست تثقيف لنخبة مسيرة، وإنما لشعب برمته حتى يستطيع أن يدير شؤون نفسه بنفسه، ويعطي لتسييرها أروع ما فيه من حماس ومعرفة وارادة.

إن مبدأ التثقيف الذي يقول به شريط، استقرأه من التاريخ الإنساني الذي تبين منه بأن هناك علاقة طردية بين التعليم والكوارث :"فكلما حصل الشعب على ثقافة أكثر كلما أفلت من منطقة الخطر، وكلما طغت عليه الأمية كلما كان فريسة لكل أنواع المحن، مهما كان النظام الذي يسيره ومهما كانت الشعارات الثورية التي ينادي بها."[42] ومنه فإن تطبيق الاشتراكية على شعب جاهل معناه الشلل في السواعد والضباب في الذهن.

وكذلك فإن التطلع المعرفي قد يمكن المجتمع الاشتراكي من تنمية قدراته، ويكسبه خبرة كل يوم، فيدفعه الى العمل بضمير، ويحترم المسؤولية في الجماعة، ولا يتساهل في التعدي على المصلحة العامة .

فإشاعة المعرفة عند شريط، هي ميزة المجتمع الاشتراكي، وهي التي حرص عليها بناة الاشتراكية في العالم أكثر من حرصهم على توفير الغذاء اليومي للشعب: "وعندهم أنك تصبح اشتراكيا عندما تثري عقلك بالإطلاع على كنوز المعرفة التي أنتجتها البشرية"[43]؛ لأن بها تنجز، مهمة تعمير البلاد، والتحرك الى الأمام بالتنمية الاشتراكية. وهنا، يشير شريط إلى عدم الوقوع في التناقض، وهو أن نزعم بأن الاشتراكية هي دولة العمال والفلاحين في حين نبقيهم على أميتهم التي تحول دون مشاركتهم في مجالس الدولة وحزبها ومؤسساتها الثقافية والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وتقديم مشاريعهم، وهو ما يتطلب منهم مستوى أدنى من الثقافة الذهنية والتقنية والتكوين السياسي والتربية الإيديولوجية المستمرة:"لأنه اذا كنا نتكلم عن سياسة ثورة فهي تسعى لغاية وهي بناء دولة ذات سيادة، أو

هي على حد تعبير باديو ذات سياسية"[44]، وهنا يرجعنا شريط الى الميثاق الوطني الذي أعطى أهمية كبيرة الى قضية التكوين الإيديولوجي كواجب على عاتق الحزب وربط مصير الاشتراكية بمدى ما يكون عليه مناضلوا الحزب من تكوين ايديولوجي رفيع، لأنه بالنضال الإيديولوجي تستطيع الثورة أن تتجاوز التناقضات الناتجة عما تشهده البلاد في المرحلة الراهنة من اللامبالاة والتخاذل، والنزوع نحو الرعاية اليسارية المتطرفة والديماغوجية .

وإذا كانت الفلسفة هي إنشاء مفاهيم تعرفنا بالموضوع، أو الموجود فإن فلسفة شريط تحدد لنا الاشتراكية من حيث هي إيديولوجية :"بأنها مجموعة من الأفكار والمبادئ التي تهدف الى تنظيم حياة مجتمعما، في الميادين السياسية والاقتصادية، والثقافية وهي كذلك كل مجموعة من الآراء والأفكار والمبادئ المنسجمة التي تهدف الى تنظيم حياة المجتمع وفق مثل عليا محددة"[45]. ومن تلك المثل ينتهي شريط إلى تميز اشتراكية الجزائر عن المذاهب الكثيرة المنتشرة في العالم، وفي الأحزاب الاشتراكية، وفي العالم الغربي وفي العالم الثالث، ولا يعني هذا بأنها اختراع جزائري، بل هي طريقة، و: "ليس من الضروري أن تكون مطابقة لمسيرة اشتراكيات أخرى في بلدان تختلف ظروفها عن ظروف الجزائر"[46]، بحيث تتبنى المبادئ الأساسية التي نادت بها مختلف الاشتراكيات منذ القرن التاسع عشر الى اليوم، وتستفيد من نجاحات الأنظمة الاشتراكية المختلفة، وتضيف كل ذلك الى التقاليد الانسانية العالية، التي عاش بها الشعب الجزائري عبر مختلف العصور وفي مقدمتها حب الحرية والأنفة من الضيم والثورة ضد الطغيان وحب المساواة والعدالة: "التي هي واحدة من الغايات الأساسية للفلسفة"47 وهي تقاليد أقرب الى المثل منها الى العادات الجامدة.

وفي نظر شريط كل من المبادئ الاشتراكية الحديثة، وتقاليد الشعب الجزائري تلتقي عند أهم ركيزة حضارية وروحية، وهي ركيزة الإسلام الثوري المتفتح على العلم والمعرفة والمنادي بالعدالة والتقدم والداعي إلى الكرامة والإخاء.

بالتالي فاشتراكية الجزائر تدخل في اطار حضاري عام يختلف عن اطار الحضارة الغربية التي نبعت منها الماركسية مطبوعة بطابع النضال الطبقي ضد الرأسمالية الوطنية الجشعة، وتدخل اكثر في الإطار الحضاري للعالم الثالث الذي له معطياته الخاصة، والإطار الاجتماعي الحضاري والثقافي والتراثي الجزائري[48] .

5.البعد الثقافي في فلسفة الثورة الجزائرية ومبدأ الرجوع إلى الأصل.

فلسفة شريط الثقافية تتناول الثقافة كثورة على غرار الثورة المسلحة، والتي ليست مجرد شعار، بل هي فعل ثوري له محتوى ومنهج، لكنها تختلف عن الثورة المسلحة: "التي قمنا بها وليس لنا من السلاح الفكري ايديولوجية مركزة مدروسة"[49]، لأن الانهماك فيها كان في الحقل العملي، ولم يستعمل فيها القلم أو الفكر إلافي الإشهار والإعلام والجدل، ولم ننتج من العمل الفكري في هذه الثورة غير ميثاق الصومام، وميثاق طرابلس.وأما موضوع الثقافة كفكر في بناء الدولة فلا يجده فيه شريط إلا مجرد شعارات بدون معلم أقرب إليها من فعل، وأن القائمين

بالجزء الفكري لم يقدموا نصيبهم فيه بسبب عجزهم، أو لسوء التصرف السياسي في استخدامهم له، أو لعدم وجود مثقفين قادرين على العمل العقائدي، والذين هم مهندسو البناء الاجتماعي.

ففي بحث شريط للبعد الثقافي للثورة الجزائرية يخلص إلى غياب عمل فكري وايديولوجي والذي كان سيكون عاديا لو تعلق الأمر بدولة ليبرالية، لأن نظامها يفتقد النظرة الإيديولوجية التي تتدخل في حياة المجتمع، ويترك التسيير لمبادرات الناس من غير تخطيط في الإنتاج الفكري أو المادي، ومن غير عدل في التوزيع، فتكون الطبقات الفكرية كما تكون الطبقات الاقتصادية، في المجتمع الذي يقابله في كفته الأخرى الاستغلال والحرمان، الذي يميز حياة المجتمعات الغربية رغم تطورها الهائل وانتاجها الغزير ثقافة واقتصادا.

إن اهمال التنظيم الفكري في الدولة، وفي الإدارة، وفي بناء المجتمع، وفي تسطير السياسة الثقافية، في تصور شريط، جعل الجزائر تدخل في معاركها كلها بما فيها معركة الثقافة: "كما دخلت معمعة الثورة المسلحة بدون سلاح فكري"[50]، لأن افتقارنا إلى أية فكرة نظرية أو عملية، يؤدي إلى التخبط في العمل، أو يفضي الى الحركات الفوضوية بسبب التعجل. ولئن كان غياب الفكر والجهد الإيديولوجي من حياتنا السياسية له تأثير في عملنا الاجتماعي والاقتصادي، فسيكون تأثيره أكثر في عملنا الثقافي.

وعندما يقارن شريط بين الثورة المسلحة وبين الثورة الثقافية، يجد بأن الثورة المسلحة لم يكن من مصلحتها الانتظار، لأنها لم تكن في حاجة إلى مثقفين ثوريين ينتجون لنا ثورة ثقافية، أو قواد حربيون واسلحة متطورة وجيش منظم. بالتالي فإن شريط يبطل الدعوة الى الانتظار التي كانت ستكون ذريعة لتأجيل الثورة، أو عدم القيام بها أصلا في أي ميدان من الميادين، لكنه ينتبه إلى ما يقابل خطر الانتظار، وهو خطر الغرور والمجازفة والارتجال، لأن تفادي الوقوع في الخطر الأول، لا يحول دون وقوعنا في الخطر الثاني، وهو امتلاك مظاهر الثورة وليست فلسفة ثورة، وعليه :"فلابد من معرفة كيفية تسييرها بعمق ودقة وبتكاليف أقل وضبط، وهذا هو موضع العمل الإيديولوجي"[51]، الذي يجنب الوقوع في فوضى التسيير والتبذير في الإمكانيات، وعدم وضوح الهدف، وانعدام للروح الأخلاقية، التي تسير الفكر الثوري في الثورات الناجحة"[52]، لأنه إن كانت الثورة المسلحة بدون سلاح فكري ناجحة، فهي في حدود السلاح، وليس فيما وراء ذلك. فهو نجاح في معركة تحرير وليس في ثورة . فبالاعتماد على التجربة المسلحة أقيمت الأجهزة المادية للدولة، ولكن دون المحتوى الفكري للدولة الاشتراكية، بكل مؤسساتها التي تبنى عليها، بحيث أن: "ما يجري في داخلها من أفكار الناس وسلوكات أجهزتها البشرية هو من صميم السلوكات الرأسمالية بل الفوضوية التي ليست اشتراكية ولا رأسمالية"[53]. وعليه يجب عدم الاستخفاف بالمستوى الفكري في الثورة الثقافية، بنفس الاستخفاف به في الثورة المسلحة، والإنشائية، لأن ما كان فيهما من الفكر الثوري ومن الروح الأخلاقية هو شيء قليل. ولا يكتفي شريط بالكلام عن الفكر الثوري الذي جعله أساسا لكل ثورة، بل يعرفه بأنه : "هو اخلاق ملتزمة تسيطر على الذاتية وتترفع عنها، وفكر علمي يؤمن بالمواطن ويعمل من اجله في عهد انشاء الدولة وبناء المجتمع قدر ما كان يؤمن في عهد مقاومة المحتل الأجنبي ويضحي من

أجله"[54]، والذي بسبب غيابه في إنشاء الدولة وبناء المجتمع، عوضنا أجهزه الاستعمار بإطارات وطنية ليس لها تكوين ايديولوجي، فورثت الإستهزاء بلغة الشعب، وتعتبرها لغة تقهقر وتأخر، وتسمي ذلك ثورة ثقافية، وتعتبر الفلاح في حاجة الى وصاية لأوراقها وتصورها في التسيير، وهي لا تملك من تجربته الفلاحية كثيرا ولا قليلا، وتسمي ذلك ثورة زراعية، وتشتري المصانع المعقدة الجاهزة فتضمها بين أيدي عمال لا يملكون أمامها أي معرفة، أو تكوين فيسيئون استعمالها فتتلف وتخرب، فنسمي ذلك ثورة صناعية.

وفي تصور شريط ليس كل من يحمل شهادة مثقفا، ما لم يلتزم بالسلوك الثوري في زيادة التعلم والتكوين الذاتي حتى يسيطر على المادة الفكرية في ميدان عمله.و :"ليس من يطلب نيل الشهادة، لأن المجتمعات غير الزائفة حتى؛ ولو لم تكن ثورية، يعتبر مثقفوها أن نيل الشهادة ليس نهاية التثقف والتكوين"55. فالشهادة ليست غاية، بل أداة ستمكن الإنسان من التثقف والتكوين الذين لا تنتهي منهما الا بانتهاء الحياة. وهنا يضرب لنا شريط مثلا عن أحد العلماء، قيل له يوما :اذا أنبئت بأنك ستموت بعد ساعة، فماذا انت فاعل في هذه الساعة؟ فأجاب:أقوم فأقرأ شيئا مما لا أعرفه.

1.5 خطورة الثورة الثقافية :

إذا كانت فلسفة الثورة تتعدى في أبعادها استقلاليه التراب والاقتصاد إلى الثورة الثقافية التي بالرغم من أهميتها فإنها: "لدقتها، تعد اخطر الثورات جميعا وأقربها الى الانزلاق نحو الانحراف." [56]، ولذلك فهي تتطلب مجهودا إيديولوجيا أهم منه في مجالات البناء السياسي الأخرى.وهي الحقيقة التي وقف عليها شريط من دراسته المقارنة بين الثورات، على سبيل المثال لا الحصر الثورة في الاتحاد السوفياتي التي بدأها "لينين" ولم يستوفها، فجاء بعده ستالين فلم يميز بين الثورة الثقافية وتصفية المعارضة السياسية، وكذلك قامت الصين بسلسلة من الثوارات الثقافية لبناء الاشتراكية، تخلصت بموجبها من نظام طبقي يعود لآلاف السنين[57]، فبدأ تفيها بحملة تصحيح اطارات الحزب في أوائل الأربعينات، ثم حملة اصلاح الفكر بين المثقفين في الخمسينات، وتخلل ذلك حملات ثلاث داخل اطارات الحزب ضد الفساد كالتبذير، والبيروقراطية والرشوة، والتهرب الضريبي، وسرقة املاك الدولة، وتلتها حملة التصحيح ضد البيروقراطية بين اطارات الدولة. وكل ذلك لأجل تمرين الصينيين على أخلاق تبرز القيم البروليتارية وتقاوم الأخلاق الرجعية والبورجوازية لكنها مع الثورة الثقافية الأخيرة في الستينات وما اصطبغت به من عنف، لم تنج من الانحراف الذي أدى الى تدمير قيم وطنية خالدة، والى العبث بشخصيات مناضلة مثل "لوشاوشي"واتباعه.يقول مهدي بلحاج قاسم: "اخبرتني امرأة صينية كانت عائلتها قد لعبت دورا قياديا في الأحداث، بأن الثورة الثقافية البروليتارية العظيمة كانت بالنسبة لها اسوأ من أزفيتش(Auschwitz)"[58].

2.5 ميادين الثقافة ومراحلها في فلسفة الثورة

الميدان الأول

بدأت الثورة الثقافية الجزائرية في هذا الميدان بالبناءات المدرسية وتوفير المعلمين عدديا، ولس نوعيا، وتيسير اللغة وتعلمها بسرعة للتفرغ الى دراسة العلوم المختلفة التي لا حظ شريط بأنها عرفت تقصيرا في الجانب البيداغوجي الذي "يرجع الى ضعف لا الى تقصير، في اطاراتنا التعليمية. ويمكن ان نتداركه اذا كانت لدينا الجرأة الضرورية." [59]

الميدان الثاني

وهو المجال الذي اتجهت فيه الثورة الى بعث الفنون الشعبية من فولكلور وصناعات وطنية كادت تندثر في عهد الاستعمار، لأن بفنوننا الأصيلة نقف الى جانب الشعوب ذات الحضارات القديمة، وهذا مكسب شعبي وثقافي إن لم نقدر قيمته اليوم، سينظر اليها المؤرخ على : "انها مثل من امثلة الإرادة المتوثبة في حرصنا على الرجوع الى شخصيتنا"[60]، وقد حددها شريط في مراحل :المرحلة الأولى تناولت الجانب المادي لكنه الضروري. وأما في المرحلة الثانية فهي المعرفة النقدية التي تسعى فيها الثورة إلى استكمال عنصرها الكامل: "وهو الأصعب ونعني به العنصر الفكري"[61]، الذي يتطلب تحليل الواقع للتراث الذي بعثناه في بلادنا من مقابر التاريخ، ولما كان الإنسان كما يقول توماس: "لا يصير ذاتا إنسانية إلا عندما يتكلم"[62]، فإنه من الضرورة بمكان عند شريط التعرف على اللغة العربية وعلى أوجه كمالها ونقصها، والتعرف الى فنوننا الشعبية والى اوجه كمالها ونقصها والتعرف ايضا الى ميداننا الروحي وما بقي فيه من الدين الحق، والانحراف الباطل.

المرحلة الثالثة والأصعب، وهي مرحلة ادخال التغيير العميق الذي يتطلب : "العلم ومعه الإرادة والجرأة والفكر المتحرر الذي يرنو الى المستقبل وليس مشدودا الى الوراء." [63] الذي يشمل كل مجالات الثقافة والاجتماع والإدارة، أو كل ما يعمل فيه الفكر والقلم : من مدرسة، صناعة فنون شعبية، على مستوى الجامعة، والحزب، والمخابر الفلاحية والصناعية والبحوث الاجتماعية من الأسرة الى التقاليد والدين. وهنا يتجه الفكر الثوري إلى التغيير بإزالة التناقضات بين الإطارات الإدارية والجماهير الشعبية التي تعود الى واقع إداري على درجة من التعقيد والتشعب والفنيات الفقهية والقانونية، التي قد لا يفهمها عندنا الاختصاصيون أو اطارات الإدارة فكيف بواقع شعبي أمي من مرحلة قرون الانحطاط.

ان الدراسة العلمية الناقدة هي التي تجد الحلول للتناقض القائم بين الشعب وإطارات دولته، وتجعل الانسجام بينهما ممكنا بتبسيط لغة الادارة والقضاء على الحشو والزوائد، واختصار طرقها وتحريرها من العراقيل، فتلتقي الدولة بشعبها، وذلك بتجنب العلاقة عن طريق الخطب بين بعض المسؤولين وبين المواطنين التي تسبب فراغا بينهما :"يحتله جدار الإطارات بدل ان تكون الإطارات مكملة ومنظمة لذلك الاتصال بين القمة والقاعدة"[64].

وكمثال آخر يبين لنا الدور الطبيعي للجامعة وهو تموين المخبر الذي تحلل فيه بنية المجتمع وتركيباته وتاريخه وعاداته وتراثه المعنوي والمادي، فتجهز دراستها بفكر نقدي يتناول ايجابيات هذا التراث وسلبياته، وتكون الجامعة والمعاهد العليا المتخصصة الأخرى هي مصدر المعرفة الصحيحة لكل ما يتعلق بحياة المواطن. ولكي تستطيع أن تضطلع بهذه الرسالة العلمية المكونة للثورة الثقافية: "يجب ان تتبنى (مبدأ الرجوع الى الأصل)الذي يعتبر هنا ليس شعارا عاطفيا بل هو مضمون ايديولوجي"[65]، ويضرب لنا شريط كأمثلة معهد الطب والصيدلة الذي الى جانب دراسة الطب الحديث يدرس التراث الطبي الوطني ووسائل العلاج الشعبية، فتفتح لها طريق التطور والخروج من مستوى التقاليد الى التجربة العلمية القائمة على المخبر والإحصاء المنظم. وكذلك معهد الحقوق الى جانب مواده الحديثة، يدرس تقاليدنا الاجتماعية في علاقاته العائلية والاقتصادية التي بدون نظام .فإذا اضطلعت الجامعة بهذه الدراسة فإنها : "تفتح الطريق لهذه التقاليد لكي تخرج هي ايضا من مستوى التقاليد الى مستوى القانون المدروس والمدعم بالتجربة المنظمة، أي بالفكر العلمي"[66].

وكذلك معهد الآداب، ومعهد الدراسات الاجتماعية إذا تناول بالدراسة وعلى رأسها تراثنا الفكري والعقائدي وتقاليدنا الأدبية والدينية، واساطيرنا المعتقدية وفنوننا الشعبية من لغة، وقصة، وشعر شعبي، ستكشف لناهذه الدراسة: "اعماق القوة الروحية المحركة لتاريخ شعبنا وطبعه بطابع معين يشترك فيه قليلا أو كثيرا مع بقية الشعوب العربية الشقيقة التي شاركته قليلا او كثيرا هذا التاريخ"[67].

إن الجامعة عندما تقوم بهذا العمل أي عندما ترجع الى الأصل، بهذا المنهج العلمي في البحث، فإنها تهيء السبيل الى العنصر الفكري لكي يدخل الثورة الثقافية من الباب العريض، ويكون ذلك اسلوبنا الخاص الذي يتماشى مع طبيعة مشاكلنا لتحقيق ثورتنا الثقافية كما يتماشى مع طبيعة العصر الحديث، الذي هو عصر الفكر العلمي، فكر التحليل ودراسة الواقع وتغييره . وهو عمل تقوم به اطارات مثقفة تتمتع بهذا الفكر العلمي، الذي هو عنصر اساسي في الثورة الثقافية المنتظرة، وبالتالي نتساءل مع شريط :من هو هذا الإطار المثقف ؟

ان المثقف عند شريط ليس هو المتبحر في مادة او بضع مواد من المعرفة وهو مستعبد لما يعرف، وانما التعريف الحقيقي للمثقف: "هو من يسيطر على مادة ثقافية ويتصرف فيها ويغيرها مع الحياة"[68]. وقد ميز لنا بحسب لغة الثقافة بين قسمين من المثقفين:1) مثقفو اللغة العربية الذين يعيشون في أرض ثقافية قاحلة وبسبب الإهمال يقتاتون على قشور من الثقافة هي اقرب الى الكلمات منها الى الفكر.2)و مثقفو اللغة الأجنبية الذين اكتفوا بثقافة جاهزة ومهيأة لحضارة غير حضارتنا، اهتموا منها بصورها واشكالها واهملوا روحها. لكن كلا القسمين يشتركان في القطيعة مع الشعب. ويصورها لنا شريط في غربتهما المزدوجة عن شعبهما وعن الشعب العربي عامة وعن مثقفي المشرق قي آن واحد مستأنسا بما كتبته الدكتورة بنت الشاطئ في جريدة الأهرام لتلفت نظر مواطنيها الى ان اكثر زادها من الثقافة الإسلامية قد تلقته من تراث علماء المغرب، من الشاطبية في القراءات وتجويد القرآن، ومن جامع القرطبي في التفسير، وشفاء القاضي عياض في السيرة النبوية، وابن خلدون في الاجتماع وابن

رشد في الفلسفة، وسحنون في الفقه والمقري في الأدب والنقد، وابن زيدون في الشعر والموشحات، كما تذكر بان كل اجيال الطلاب[69]، وجدوا في التراث المغربي الأندلسي منه التونسي والجزائري والمراكشي مصادر اصيلة لما يشتغلون به من حديث وتفسير وفقه واصول ولغة ونحو وبلاغة وأدب ومنطق وفلسفة وتاريخ واجتماع. ففي هذه الشهادة من بنت الشاطئ إقامة الدليل لمثقفينا بالعربية "على ضرورة العودة الى اصلهم المتمثل في تراث اجدادهم من الوجهة التاريخية وفيما تزخر به حياة شعبهم من بقايا هذه الثقافة من الوجهة الاجتماعية والفكرية"[70]، وكذلك على اصحاب الثقافة الأجنبية أن يستكملوا نفصهم اللغوي، ويهتموا بدراسة تراث شعبهم المادي والمعنوي لأنهم "بهذا الشرط وحده يدخلون في حلبة السبق ويمهدون للثورة الثقافية التي يطمحون اليها"، لأنه قد تبين من التاريخ المعاصر للثورات في الصين، أو كما في الهند الصينية، أو كوريا أو الإتحاد السوفياتي وحتى اليابان، بأن هذه الدول لمتحقق الثورة الثقافية بغير اللغة الطبيعية والتراث الشعبي الوطني، ومنه فإن: "مبدأ الرجوع الى الأصل أي الى التراث الوطني بالدراسة النقدية_ يجب ان نتخذ منه المبدأ الجامع لثورتنا الثقافية المقبلة"[71]، والتي يوكلها شريط إلى "مركز البحوث الإجتماعية"، [72] الذي يمكن ان تقام فيه كل البحوث المتعلقة بالثورة الثقافية من طرف اطارات وطنية في كل مواد التراث الوطني الذي هو ركيزة الرجوع الى الأصل"[73]، ويشترط شريط لهذه الدراسة أساسين :التحليل بموضوعية، والتقييم بجرأة، لأن التحليل يتيح لنا عقلنة الواقع ومعرفته معرفة مدروسة. اما التقييم فيتيح لنا التخلص من كل ما كان عنصر تعطيل فكري او روحي او أدبي، او ما لم يعد قادرا على مجاراة الحياة التي يحياها عصرنا. فنتسلح لكل ذلك بروح تقدمية متحررة لا تلتفت الى الماضي ولا تأخذ منه الا ما يعيننا على تدعيم شخصيتنا وابراز معالم حضارتنا"[74]، التي جمع فيها شريط بين عناصر ماضية وحاضرة واستشرافية للمستقبل فكان المفكر أو الفيلسوف الذي يعرفه باديو بأنه: "عامل بمعنى آخر، يكتشف، ويقدم، ويربط بين حقائق عصره، ويعيد تنشيط الحقائق المنسية، وينتقد الآراء الخاملة، فهو اللحام للعوالم المنفصلة"[75].

6. خاتمة:

إن القراءة الفلسفية للثورة الجزائرية في بعدها الاجتماعي الاقتصادي والثقافي عند شريط تقوم على مبدأ الرجوع الى الأصل الشعبي لكشف تراثه التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي يتم اخضاعه للفحص العلمي وتحريره من سيطرة الأموات وسيطرة الاستعمار معا. ووضعه مزودا بالفكر العلمي والأخلاق الثورية، التي تخدم الشعب وتقدمه وازدهاره، وهي نفس الغاية من الحكمة عند أفلاطون التي :" ليست معرفة غير مهتمة، ولكن معرفة في خدمة الحياة السياسية للأفراد والحياة السياسية لسكان المدينة"76، وبالتالي فإن قراءة شريط للثورة الجزائرية قراءة فلسفية أصيلة.

7. الهوامش:

[1] عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص51.

[2] عبد الله شريط محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث قسنطينة، ط1، 1965، ص147.

[3] عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص51.

[4]محمد شطوطي، الجوانب الفلسفية والنفسية والأدبية للثورة الجزائرية من خلال الوثائق الرسمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2020، ص57.

[5]عبد الله شريط محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث قسنطينة، ط1، 1965، ص156.

[6]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص52.

[7]عبد الله شريط محمد الميلي، المصدر السابق، ص156.

[8]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص52.

[9] Grateloup Leon_ Louis,dictionnaire philosphique de citations classiques,Hachette, edition2 Paris.1979, p19.

[10] Pol droit_Rogert,7philosophes qui ont fait le XXème siècle Edition6 Flammarion, 2011, p46.

[11]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص52.

[12]المرجع نفسه، ص53.

[13] Vinolo Stéphane, Alain Badiou, vivre en immortel, L'harrmattan,Paris,France,2014, p50.

[14]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص53.

[15]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص53.

[16]عبدالله شريط، المصدر نفسه، ص53.

[17] Vinolo Stéphane, Alain Badiou, vivre en immortel, Op Cit, p48.

[18]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص53.

[19]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص54.

[20] Grateloup Leon_ Louis,dictionnaire philosphique de citations classiques,Hachette, edition2 Paris.1979, p81.

[21]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص54.

[22]المصدر نفسه، ص55.

[23]المصدر نفسه، ص55.

[24]المصدر نفسه، ص55.

[25]المصدر نفسه، ص56.

[26] BadiouAlain , la vraie vie,librairie Artheme fayard,2016, p101.

[27]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص56.

[28]المصدر نفسه، ص56.

[29]المصدر نفسه، ص57.

[30]المصدر نفسه، ص58.

[31]المصدر نفسه، ص58.

[32]المصدر نفسه، ص58.

[33]المصدر نفسه، ص59.

[34]المصدر نفسه، ص59.

[35]المصدر نفسه، ص59.

[36]المصدر نفسه، ص59.

[37]المصدر نفسه، ص59.

[38] Larousse. Dictionnaire encyclopédique, librairie larousse,Paris,1971, p896.

[39]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص62.

[40] Badiou Alain a la recherche du réel perdu fayard 2015, p10

[41]عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص62.

[42] المصدر نفسه، ص62.
[43] المصدر نفسه، ص63.
[44] Vinolo Stéphane, Alain Badiou, Op Cit, pp 132, 133.
[45] عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص65.
[46] المصدر نفسه، ص65.
[47] Misrahi Robert qu'est-ce que l'éthique ? Armand colin masson, Paris,1997, p11.
[48] عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص66.
[49] المصدر نفسه، ص109.
[50] المصدر نفسه، ص110.
[51] المصدر نفسه، ص110.
[52] المصدر نفسه، ص111.
[53] المصدر نفسه، ص111.
[54] المصدر نفسه، ص111.
[55] المصدر نفسه، ص112.
[56] المصدر نفسه، ص112.
[57] المصدر نفسه، ص113.
[58] Mehdi Belhadj kacemi, Après Badiou, Edition Grasset et Fasqquelle,2011, p83.
[59] المصدر نفسه، ص113.
[60] المصدر نفسه، ص113.
[61] المصدر نفسه، ص113.
[62] Tomès Arnauld,le sujet, ellipses edition Paris,France, 2005, p71.
[63] عبدالله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، المصدر السابق، ص114.
[64] المصدر نفسه، ص115.
[65] المصدر نفسه، ص115.
[66] المصدر نفسه، ص115.
[67] المصدر السابق، ص115.
[68] المصدر نفسه، ص116.
[69] المصدر نفسه، ص117.
[70] المصدر نفسه، ص116.
[71] المصدر نفسه، ص116.
[72] المصدر نفسه، ص118.
[73] المصدر نفسه، ص118.
[74] المصدر نفسه، ص118.
[75] Badiou Alain, second manifeste pour la philosophie librairie Artheme fayard2009.
[76] Misrahi Robert qu'est ce que l'ethique ?Armand colin masson,Paris,1997, p11.